سيهزم الجمع ويولون الدبر

اسمع يا تاريخ وتأمل يامسلم، وتنبه يا غافل، هاهم صناديد الكفر وأعلام الإلحاد ورؤوس الردة تجمعوا بقضهم وقضيضهم يكيدون، بالأمس أبو جهل وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة، واليوم أبناؤهم وحفدتهم غير أن رائد أولئك كان ذاك الشيخ النجدي[1] أما حفدتهم اليوم فكلهم رواد وكلهم أولى بالكيد والمكر من صاحبه، وبالأمس كان يشير عليهم فيستمعون بآذان صاغية وأبصار خاشعة، واليوم يشير كلٌ على صاحبه متعجباً: أهؤلاء هم أبنائي ورفاقي؟ اني إذا لَبِخير، وصار حالهم كحال القائل؛

وكنت امرأً من جند إبليس فارتقى بي الحال حتى صار إبليس من جندي
فلو مات قبلي كنت أحدثت بعده طرائق فسقٍ ليس يحسنها

الله اكبر.. إنها السنن.. الله اكبر.. انه النصر، هاهو التاريخ يعيد نفسه، وإلا فقل لي بربك في أي وقت وعلى أي حال تكالبت قريش وكادوا كيدهم واجمعوا أمرهم؟ أليس بعد أن شب عود الإسلام وظهر أمره وكثر اتباعه وأنصاره، عندها أحسّ أصحاب المناصب وأهل الوجاهات بشرخ حصونهم وتصدع قلاعهم، وذهاب ملكهم، وعندها أخذوا في فتل حبائل الكيد والتربص والالتفاف.. ولكن على من؟ على ذلك الشبل الفتي.

واليوم يعلم القاصي والداني، والصديق والعدو أن الشبل بدأ يشب وأن الشرخ في العرين قد انسد، وأن غفلته فيما مضى كانت غفلة غفل عنها، وسهوة سهى عنها.

* * *

لقد كانت البقرة صاحبة المجلس، فنادت بالجمع، فكان من بين من شارك الحرباء والوزغ فكان من قوله للجمع: (إن لي ثقلاً من سمن، هو ورثة ابن عن أب، فنعم الموروث لنعم الوارث يا أهل الفطن، قد ادخرته لمثل هذا اليوم، فالحل عندي هو أن تخلّوا بيني وبينه لأرفسه رفساً

[1] الشيخ النجدي: هو إبليس - لعنه الله - حيث حضر اجتماع كبار كفار قريش في صورة الشيخ النجدي في دار الندوة، وقد صوب رأي أبي جهل في قتل النبي صلى الله عليه وسلم.

تحت قدمي حتى أفتق أمعاءه فتقاً، لتزهق روحه زهقـاً، فلا رحمة تأخذني فيه ولا شفقة، فقد بلغ السيل الزبى، وتمادى فينا كل التمادي).

ثم قام الكلب فقال: (إن لـي رأسـاً صـلابته كالحديـد وسينبت فيه قرنان عظيمان عما قريـب، قـد حـدثني بعـض أصدقائي انهمـا سـيكونان كالسـهام، فمـا هـي إلا ضـربة أو ضربتان فـإذا هـو زاهـق، فلا شـبل ولا عريـن، فابشـروا ولا تحزنوا فقط لا تنكلوا).

ثم صاح الكلب - والحال هذه - في الجمع: (وهذا مدد أُردف بمدد، وعتاد فوق عتاد، فالنصـر بـدأ يلـوح، والهزيمـة القاتلة حول الشبل تفوح).

وما أن استجمع الكلب لسانه، واقعد مقعدته، وأرخـى ذيله، حتى قام فيمن قام ثعلب ماشياً بين ظهرانيهم، فأثنى على من سبقه في الكلام ثم أردف قائلاً: (يا قوم هـذا يـوم نزال لا تنميق كلام، فلا بد من إحلال السلام، وإني لا أرضى أبداً بالدون، فيدي دوماً بيدكم، فلكم مني سلاحي المليح).

ثم قال - وكلهم قد شد انتباهه إليه منتظراً ما يبيـح -: (فلـي زئيـر وأيّ زئيـر، زئيـر تقطـع منـه القلـوب، وتهـابه الملوك، هو على العادي أشد وقعاً عليه مـن رشـق بالنبـال وطعن بالرماح، قـد جربتـه وألفتـه، فمـا خـاب فيـه رجـائي ولاساء به ظني، ولكم منـي زيـادة علـى ذلـك إكرامـا لكـم ومحبـة، وهـو بعـري، فخـذوه واصـنعوا بـه رؤوس السـهام وشدوا به أطراف النبال، وان شاتم فابردوا به واصـقلوا بـه صفائح سـيوفكم، وزينـوا بـه هامـاتكم، فهـذا أوغـر لصـدور عدوكم، واشرح للصدور وليكـم.. وإنـي لأعلـن لكـم وكلـي صدق ووفاء اني معكم على العهد، فمـا مـن شـيمتي نكـث العهـود ولا الغـدر بـالمواثيق، ولا يخفـى عليكـم فهـذه مـن مكارم آبائي).

وليس ببعيد عن هذا الجمع كان الشبل يسمع أقوالهم ويرى فعالهم، فما كان منه إلا أن تبسـم سـاخراً غيـر مبـال بهـم وبمـا يكبـدون، فهمَّـه هـو إصـلاح عرينـه وحراسـتهً والتفطن لنفسه من عدوه، أما هذه الخطـب والمجـامع فلا تخيفه ولا تثنيه، فما العدو عليه بجديد، ومـا كـان هـذا الكيـد يوماً عنه ببعيد.

وممن كانت له كلمة في هذا الجمع الغراب فتقدم شاكراً واستفتح بما عنده من أنغام ليطرب الحاضرين، فاستعذبوا بطربه، وتنغموا بشدى صفيره، وهم مترنحون يمنةً ويسرةً.

فتدخلت البقرة قائلة له: (حسبك لقد وعظت فأحسنت، وحرضت فأبلغت، فلك جزيل الشكر والعرفان).

ولكنه أصّر على أن يشارك ويبارك، فخاطبهم وكله حماس وانفعال حتى احمرت وجنتاه: (عندي ثلاث بيضات هم أغلى ما عندي وأنفس ما أملك، وأما وأن الأمر كما ترون، فالرأي عندي أن احملهم إلى عنان السماء واقذفهم عليه وعلى عرينه حمماً وبراكين، حتى يسهل لكم القضاء عليه وعلى تخريب عرينه، فالخطر قد حل، والهلاك قد طل، أما تذكرون كيف كانت فِعال أبيه بآبائنا؟ ألم يُذِقْهم كل ذلة ومهانة فسلب ملكهم ووطئ أرضهم وطردهم شر طردة، أولا تخشون أن يحل بنا ما حل بهم؟).

وهكذا تكلم من تكلم.

ثم تدخلت البقرة، وفي نشوة الخطاب خاطبتهم بقولها: (أما أنا أيها القوم فكما ترون سلاحي وعدتي في هذا الضرع فَلَبَني لكم حلال لا خجل في أخذه ولا استئذان، فهو لكم ولمن شئتم من ورائكم، بيعوا منه ما شئتم واشتروا به ما أردتم، لا ابتغي منكم الجزاء ولا الشكور، ولكن أعزائي؛ لا يخفى عليكم انه لابد لنا من راصد يرصد لنا العدو ويراقب لنا فِعاله ويحصي لنا عدته وجهازه، والرأي عندي أن هذه المهمة ليس لها إلا الوطواط وذلك لنحافة جسمه وحدة بصره ورشاقة حركته، وانه لخير ما يُختم به مجلسنا هذا هي قصيدة شعرية تُحيي فينا الهمة وتجمع فينا القوة، وهي من آخر أشعاري وهي بعنوان "العنتريات").

فصفقوا لها وكلهم تلهف وإنصات، فأنشدت:

(أُحمس في الوغى أبناء قومي وأحمي ظهرهم عند النزال
فإن هربوا سبقتهمُ جميعاً وإن كروا فقد ديرتُ حالي
ولي عزم يشق الماء شقاً ويكسر بيضتين على التوالي

ويقطع خيط قطن بعد شدٍ إذا ما الخيط كان إلى انحلال).

وهاج الجمع وماج في التصفيق والتصفير وحرارة التشجيع، وهم يطلبون منها المزيد، فتنفست الشاعرة الصاعدة الصعداء، وما أن هدأوا حتى أكملت:

(وقد عاينتُ صرصوراً كبيراً فلم أهرب ولا سلمت حالي
فألهمني بأن القي بنفسي وأن أتماوتن على الرمال
وقد فر الصريصر من أمامي وهذا الأمر لم يخطر ببالي).

ثم أكملت وبترنم:

(وتلك مَزِيَّة الشجعان مثلي يفر عدوهم قبل النزال).

وعند الختام ضربوا لأنفسهم موعداً تعاهدوا عليه ومكاناً تواعدوا فيه بعدما اختلفوا وتمارجوا فيما بينهم على المكان، ولكن في النهاية اجتمعت كلمتهم واتفقت آراؤهم على مكان الموعد، فكان قدراً مقدوراً، وفي الكتاب مسطوراً، فكان المكان عند قعر البئر، فكان الأمر كما أرادوا، واختاروا ما أحبوا.

وظل المبارك الميمون يقطع طول الغابة وعرضها وقد قويت مخالبه، وشُدت أنيابه، واشتد زئيره فزاد قوة على قوته.. ولطالما راح الغرباء يتطلعون إلى الأفق وهم في انتظاره كما وُعِدوا به عند المحن فكان وقته في هذا الزمن، بعدما ظن كل ظان أنه قد وُئِدَ إلى الأبد، ففرح به الخائفون الذين أمِنوا، والمستضعفون الذين سادوا، والضائعون الذين وجدوا فيه ملاذهم، والتائهون الذين رأوا فيه دليلهم.

* * *

ومع انفجار الفجر، انطلق الشبل يزحف على الغابة وكأني به يتسابق مع شعاع الشمس يبشر بكل جديد سديد،

فانجفل آل الشر والطغيان، وولىَّ الدبر كل جبان، ومع دوي صوت الأذان كان وقت الفجر قد حان، فكانت الغلبة لأهل الإيمان وبهذا بشرنا الفرقان {والسماء رفعها ووضع الميزان}... ولكن أحبائي؛ {ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان}.

بقلم؛ رياض محمود
عن مجلة
الفجر

منبر التوحيد والجهاد

* * *

sw.dehwat.www//:ptth
sw.esedqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth

moc.adataq-uba.www//:ptth

منبر التوحيد والجهاد
* * *
sw.dehwat.www//:ptth
moc.esedqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth

موقعنا على الشبكة
sw.dehwat.www//:ptth
moc.esedqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth

منبر التوحيد والجهاد
sw.dehwat.www
moc.esedqamla.www
ofni.hannusla.www
moc.adataq-uba.www